

واشنطن... شبه طلاق مع أنقرة المتعنتة وعودة محتملة إلى «بيت الطاعة» الروسي

إعداد وترجمة: ليلي زيدان عبد الخالق

هل تعيد الولايات المتحدة الأميركية حساباتها بعقلانية أم أنها تعيد تدوير الزوايا فحسب؟ فإن ما يجري سراً وعلناً، يبيّن لمحللين سياسيين وإعلاميين كثر حول العالم، أنّ واشنطن تعيد النظر في علاقاتها الاستراتيجية التي سعت إليها خلال السنوات الماضية. فبعد الجفاء مع روسيا، والحرب المفتوحة ضد الرئيس السوري بشار الأسد، والتلويح بالعقوبات الدولية ضد إيران. هذا من جهة. ومن جهة أخرى «تدليل» تركيا، وتعويم السعودية وقطر، بعد هذا كله، ربما تجد واشنطن نفسها في دائرة «الوعي» العالمي، خصوصاً بعدما تفلت «الربيع العربي» من بين أيديها، لينتج «داعش» متطوّراً، ترخّم بعد جرائمه المتواصلة ونموّه المضطرد، على «زكزكات» القاعدة.

حكاية أميركا وقطر جلية وليست بحاجة إلى تفسير، والقصة التي تتحدث عن الطلاق الأميركي. القطري بحجة دعم الدوحة الإرهاب وتمويله، وكيف جذت واشنطن جارات قطر للتعبير عن «الانزعاج»، أضحّت معروفة حتى في بلاد الواق. أما الجديد، فبوابر طلاق بين أميركا وأردوغان. فبعد التردد التركي في خوض غمار الائتلاف الدولي ضد «داعش»، والشكوك التي حامت حول أردوغان بعيد صفقة تحرير المخطوفين الأتراك، وعلى رغم قبول أنقرة المتأخر بالانضمام إلى الائتلاف، ما طريقاً وأنقرة قد افتترقتا. فبعد اتصال أوباما بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان السبب الفاتت وتباحثهما «بالخطوات التي يمكن اتخاذها لمواجهة هجوم داعش ضد كوياني»، افترض أوباما أنّ أردوغان سيدعم الأكراد في كوياني. غير أنّ أردوغان احتفظ بسلاحه، وصرّح نهار الأحد أنّ تركيا تنظر إلى المجموعة الكردية السورية «PYD»، بوصفها «منظمة إرهابية تشبه الأكراد العراقيين المنتمين إلى حزب العمال الكردستاني PKK». وكان فظاً حين قال: «تخطئ أميركا حليفنا لو اعتقدت أننا سنقول نعم ونعلن صراحة عن دعمنا منظمة إرهابية كهذه».

في المقابل الثاني، نرى بوابر تودّد من أميركا نحو إيران، ونحو الرئيس بشار الأسد، وأيضاً نحو روسيا، والحلقة الجامعة «داعش» وإرهابه. في التقرير التالي ترجمة لتقارير من عدة مصادر، جمعت نظراً إلى أنها تصبّ في الموضوع الخفي ذاته... طلاق تركيا. أميركا، وعودة واشنطن إلى الحضن الروسي.



مع الحكم العثماني في المنطقة. ومع ذلك، فإن النقطة الأهم بالنسبة إلى أوباما ترتبط بالنظام السوري، إذ يبدو أنه يتجنبه حالياً وينشغل بمحاربة «داعش».

ولطالما بقي الملف النووي الإيراني والنظام في مجال المفترض أن تفتح باب النقاش وأوسعها بين الولايات المتحدة وإيران بشأن التوصل إلى تسوية سياسية قريبة في سورية.

وقد تضجّت في الوقت عينه، المداولات الأميركية - الإيرانية بشأن العراق وذلك في فترة زمنية قصيرة، بعد الجهود التي بذلت لاستبدال رئيس الوزراء السابق نوري المالكي برئيس جديد. فلقد أصبح العراق مختبراً حقيقياً للتأكد من فعالية التعاون الأميركي - الإيراني حول قضايا الأمن والاستقرار في المنطقة. ما يؤكد على اعتماد الولايات المتحدة على إيران كلاعب أساسي وعامل مهم من عوامل الاستقرار في العراق.

ومن العنبر للاهتمام في العراق، ان الولايات المتحدة لا تتدخل في التركيبات الدقيقة للحكومة «الشاملة». على كل حال، فإن أحدث تعيين سياسي شيعي كان منصب وزير الخارجية من منظمة بدر، كما

الأكرد السوريين. يرتبط الأول، برفض أوباما بشدة لوصف أردوغان لهؤلاء الأكراد بـ«الإرهابيين»، وزعمه بأنهم يتلقون الدعم السري من النظام السوري. أما الثاني، فقدم سعي أوباما إلى ربط مكافحة تنظيم الدولة الإسلامية بأجندة أردوغان في مجال سعيها إلى إسقاط النظام في سورية. والثالث يتعلق في عدم تفضيل أوباما لفكرة أردوغان الرامية إلى خلق منطقة عازلة ومنطقة حظر جوي في سورية تمتد على طول الحدود التركية الشمالية مع حلب.

وقد حذر أوباما، في الواقع، من خطورة التطور مع حلم أردوغان في ركب أمواج الربيع العربي وإحداث تغييرات ديمقراطية شاملة في الشرق الأوسط بقيادة الإخوان المسلمين الذي سيأتي تحت الوصاية التركية - بطبيعة الحال.

ويشكل عام، ومع ما أوصحناه أعلاه، أدت استراتيجية أوباما البارعة في سورية إلى احتواء «داعش» بدلاً من الدخول في مخططات مكلفة بهدف السعي إلى تسويات سياسية في العراق وسورية. غير أن التفاعل بين الأبعاد المذكورة أعلاه سيلقي بظلاله على التطورات المستقبلية بشكل كبير. فإن الدعم الأميركي

نشاط اللجنة الرئاسية الثنائية بين روسيا والولايات المتحدة التي أنشئت عام 2009، والتي ضمت 21 مجموعة عمل، من بين الأمور الأخرى التي تهدف إلى مكافحة الإرهاب وتهريب المخدرات. وفي الوقت عينه، فهي ليست المرة الأولى التي تنهار فيها العلاقات بين البلدين. ونحن نأمل أن يدرك شركاؤنا عدم الجدوى من محاولات إبتزاز روسيا ونذكر عواقب الخلاف بين القوى النووية الكبرى التي يمكن أن تؤدي إلى عدم استقرار استراتيجي. ونحن جاهزون - من جانبنا - إلى تطوير تعاون بناءً مرتكز على مبادئ المساواة والاحترام الحقيقي لمصالح بعضنا البعض.

تدهور العلاقات الأميركية - التركية

وجاء في مدوّنة «Bhadrakumar»: أصبحت استراتيجية الرئيس الأميركي باراك أوباما في حربه ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» داعش، في سورية أكثر وضوحاً مع إعلان النقاط الأربع من قبل القيادة المركزية الأميركية التي دعمت المقاتلين الأكراد بالأسلحة والذخائر والإمدادات الطبية في دفاعهم عن مدينتهم كوياني في الشمال على الحدود السورية - التركية. وباختصار، فإن طريقاً واشنطن وأنقرة قد افتترقتا. فبعد اتصال أوباما بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان السبت الفائت وتباحثهما «بالخطوات التي يمكن اتخاذها لمواجهة هجوم داعش ضد كوياني»، افترض أوباما أنّ أردوغان سيدعم الأكراد في كوياني.

غير أنّ أردوغان احتفظ بسلاحه، وصرّح نهار الأحد أنّ تركيا تنظر إلى المجموعة الكردية السورية «PYD»، بوصفها «منظمة إرهابية تشبه الأكراد العراقيين المنتمين إلى حزب العمال الكردستاني PKK». وكان فظاً حين قال: «تخطئ أميركا حليفنا لو اعتقدت أننا سنقول نعم ونعلن صراحة عن دعمنا منظمة إرهابية كهذه».

كما تصدّى أردوغان للقضية المتعلقة بإتاحة القواعد العسكرية الجوية على الحدود السورية - العراقية للولايات المتحدة. وقال: «ما الذي يطلبونه في ما يتعلق بقاعدة «أنجيرليك» العسكرية؟ الأمر ليس واضحاً بعد. فإذا رأينا مناسباً بعد أن نتباحث به مع قواتنا الأمنية، قد نجيب بالإيجاب. وفي حال وجدنا العكس، فإن قول نعم سيكون مستحباً بالنسبة إلينا» (حرييت).

يكفي القول أنّ أوباما قد قام بمبادرة أخيرة لمحاولة إقناع أردوغان، لكنه فشل في مسعاه. ومن المؤكد أنّ المقاتلين الأكراد في كوياني هم في حالة يرثى لها وأن الإمدادات الأميركية أصبحت حيوية. لكن هناك أبعاداً سياسية لقرار أوباما لتسليح

بالوضع القائم وحماية حقوقهم في وطنهم ولغتهم وثقافتهم وتاريخهم. على شركائنا أن يكونوا مدركين تماماً للضغوطات التي تمارس على روسيا والمترافقة مع تدابير مشددة غير شرعية وأحادية الجانب لن توصل إلى أي تسوية، بل ستعيق تقدم الحوار. فكيف يمكن لنا أن نتحدث عن نزع فتيل التصعيد في الوقت الذي تفرض فيه عقوبات تترافق مع مسار عملية السلام؟ فإذا كان الهدف الرئيس عزل بلدنا، فإنه من دون شك هدف خفيف وهومي. وإذا كان هناك من إصرار على تحقيق هذا الهدف، فإن صحة أوروبا الاقتصادية ستقوّض بشكل خطير.

أما في ما يتعلق بفترة هذه التدابير التقيدية، فهذا يعتمد على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. ومن جهتنا، فإننا نستلزم مقاربة متوازنة لتقييم المخاطر وتأثير العقوبات والاستجابة لها انطلاقاً من مصالحنا الوطنية. ومن الواضح أنّ انخفاض مستوى الثقة المتبادلة سيكون له تداعياته السلبية على مناخ عمل الشركات الأوروبية والأميركية في روسيا، مع الأخذ في الاعتبار أنّ هذه الشركات ستجد صعوبة في إنقاذ سمعتها المدمرة. وبالإضافة، ستضطر البلدان الأخرى إلى التفكير ملياً لو أنه من الحكمة الاستثمار الأموال في النظام المصرفي الأميركي ما سيزيد اعتماد على تعاون اقتصادي مع الولايات المتحدة.

هل تستعد الولايات المتحدة وروسيا إلى إعادة تأسيس شركة استراتيجية بعد كل ما حدث، أم أنهما ستقومان ببناء علاقاتهما بطريقة أخرى؟

بالنسبة إلى العلاقات الروسية - الأميركية، فإن هدفاً الدائم بناء علاقات شراكة مفتوحة مع الولايات المتحدة. بينما لاحظنا أنهم يعملون، في المقابل، إلى التدخل في شؤوننا الداخلية بكافة الطرق.

كل ما حصل منذ بداية هذه السنة يثير القلق. فواشنطن دعمت المحتجين في الميدان، واستقرت أعداء هؤلاء من أتباع كيف من خلال إكذاء حمية قوميتهم الأوكرانية المسعورة وأدخلت البلاد في حرب أهلية، وسارعت إلى لوم روسيا لإثارة الأزمة.

لقد أطلق الرئيس الأميركي باراك أوباما في خطابه أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة ما أسماه «العدوان الروسي على أوروبا»، من بين مخاطر أساسية ثلاثة تواجه الإنسانية جمعاء بعد فيروس إيبولا وتنظيم «الدولة الإسلامية» - «داعش». كل هذا يحدث جنباً إلى جنب مع تصعيد وتيرة العقوبات على كافة قطاعات روسيا الاقتصادية، إنها مقاربة أقل ما يقال فيها أنها معادية.

وقد ذهبت الولايات المتحدة إلى أبعد من ذلك بكثير عندما أعلنت عن وقف التعاون بين البلدين في مجال استكشاف الفضاء والطاقة النووية. كما علقت أيضاً

بالإهتمام الأكبر ضمن أجندة أوباما حتى أنها تتقدم في ذلك على «داعش». وقد يشكل الاتفاق بشأن ملف إيران النووي تنويجاً ومفخرة لأوباما في مجال إرثه السياسي الخارجي.

أضحى دور روسيا الآن مهماً للغاية، منذ أن أغلق مجلس الأمن الدولي ملف العقوبات. وما هي روسيا، مرة أخرى تزود محطة بوشهر النووية بالوقود، فضلاً عن دورها الرئيسي في توريد اليورانيوم المصنّب إلى إيران على مدى سنوات العقد المقبل.

والعنبر للاهتمام، تلخيص لأفروف وضع المحادثات مع إيران: «القضايا التي لا يزال علينا الاتفاق عليها ليست بذلك التعقيد. لكن كما هو معروف أن الجميع يريد الحصول على المزيد عندما تقترب الأمور من الوصول إلى خواتيمها. أنا متأكد من أن الحل الوسطي هو حل ممكن. لكني لا أضمن أنّ هذا قد يحدث قبل 24 تشرين الثاني. إنه ليس تاريخاً نهائياً أو مقدساً، لكننا نسعى إلى تحقيق الأفضل قبل ذلك التاريخ... المسألة ليست مسألة وضع مواعيد مصطنعة، بقدر ما هي مرتبطة بضموم ونوعية هذه الاتفاقيات... انتابني شعور أنّنا محادثاتي مع جون كيري... إن شركائنا ينطلقون أيضاً من هذا المبدأ. وأمل أن نحقق النتائج المرجوة».

إذا، يرتبط السؤال الكبير بمدى إمكانية عقد لقاء بين بوتين وأوباما على هامش القمة العشرين في بريزين في أستراليا، أو خلال قمة «APEC» في شنغهاي. وبالنسبة إلى، فإن هذا اللقاء سيكون الهدف غير المعلن من اللقاء في باريس بين لأفروف وكيري. فمحاضر الجلسات بين الإثنين أصبحت بين أيدي وسائل الإعلام وهنا وهناك.

مقاربة بوتين حول موقف الولايات المتحدة العدائي

وكانت صحيفة «Politika» قد أجرت مقابلة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وهذه مقتطفات منها.

● ما الهدف النهائي للعقوبات التي فرضها الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة على روسيا؟ وكما يستمرّ برايك، وما ستكون تداعياتها على روسيا؟

– يفترض أنّ يُوجه هذا السؤال إلى الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، إذ من الصعب فهم موقفهما. فأني شخص غير متحيز أعلم أنّ روسيا لم تكن هي التي نظمت الانقلاب في أوكرانيا، والذي أدى إلى أزمة سياسية داخلية خطيرة وانتقام في المجتمع. فالاستيلاء غير الدستوري على السلطة نقطة انطلاق لأحداث لاحقة، بما في ذلك شبه جزيرة القرم. إذ قرّر شعب القرم إجراء استفتاء يمثل بالكامل لشروط الأمم المتحدة بهدف إعادة ضمّ شبه الجزيرة إلى روسيا، بعدما تأكد هذا الشعب ضخامة تعقيد قضيتهم وعدم القدرة على التنبؤ

قبل «OSCE» منظمة الأمن والتعاون في أوروبا.

يرفض لأفروف غموض كيري الذي يرى أنه يلوح «ببعض الصيغ المصطنعة» بهدف صرف الانتباه. وكان قد لوح بالضرورة الصوي لإقامة «حوار سياسي شامل... يتضمن كل المناطق والقوى السياسية في أوكرانيا. ويقال أنه ونج كيري لأنه «لم يسع إلى اجتراح حلول جديدة»، واستخدمته تأثير النفوذ الأميركي على كيف بهدف «الامتثال الكامل والصادق» لاتفاق مينسك.

ومع ذلك، فإنه من العنبر للاهتمام، قول كيري إن الجزء الأكبر من النقاش مع لأفروف يتمحور حول مجموعة من القضايا - إيبولا، أفغانستان، ومحادثات إيران، كوريا الشمالية، مسار عملية السلام في الشرق الأوسط، سورية، اليمن وتونس، وبالطبع، الحرب ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» داعش....

المج كيري إلى أنه كان مهتماً إلى حدّ بعيد بإقحام موسكو في الحرب ضد «داعش». فقد اتفق كل من الولايات المتحدة وروسيا على تكثيف التعاون الاستخباراتي في ما يتعلق بـ«داعش»؛ واتفقا أيضاً على أن موسكو ستحتج في سبيل توفير المزيد

تبقى المصالح هي التي تحكم استراتيجيات الدول، ولم ير التاريخ أو يسجل أي خطة من أي دولة أو إمبراطورية، لم تُرسم خدمة لمصالح هذه الدولة أو هذه الإمبراطورية.

الولايات المتحدة وروسيا

أعلنت التفاصيل التي نتجت عن اجتماع دام ساعات ثلاث بين وزير الخارجية الأميركي جون كيري ونظيره الروسي سيرغي لأفروف، صورة متخلّطة للجدد، والسعي والقيح في العلاقات بين البلدين. ستكون الولايات المتحدة انفتاحية في علاقاتها مع روسيا، فيما اختارت روسيا الذهاب إلى النهاية خدمة لمصالحها الخاصة، وكلامها يشكك في نوايا الآخر. إنه الحب مرة أخرى.

لم ينسبوا أو يتسامحوا مع ما حدث في أوكرانيا، والفريقان يذيعان «هجم مسؤولياتهما معاً» في مصطلحاتهم المشتركة مع المجتمع الدولي «الإنساني» (إرهاب، إكراه، انتهاك حقوق الإنسان، إبادة إيبولا) ويبدو بالتالي أنّ ليهيما التزاماً أخلاقياً للتعاون والعمل معاً في «إدارة» خلافاتها.

يرتاب كيري بتنفيذ شامل لجميع النقاط من 12 من اتفاق مينسك الخامس

إيران فقط التي يمكنها أن تشكل العنصر السياسي للتوصل إلى تسوية سياسية في سورية لا تركيا ولا السعودية

في أيلول الماضي... وافق لأفروف مبدئياً، وسارع إلى التوضيح أنّ «جون كيري وأنا لا نمثل الأطراف المتحاربة... فالحل الوحيد للزمنة الأوكرانية لن يكون إلا عبر محادثات مباشرة توصل إلى اتفاق بين الأطراف المتحاربة».

يصرّ كيري على أنّ كل هذا يتوقف على نتائج الاجتماعات الهامشية التي يعقدها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والأوكراني بيتر بوروشينكو في قمة «ASEM» في ميلانو، والتي تحصل على مرمي من أنظار ألمانيا وفرنسا (وربما إيطاليا أيضاً). كما يتوقع جدولاً زمنياً بين بوتين وبوروشينكو لتنفيذ «أربع أو خمس متطلبات» لرفع العقوبات ضد روسيا:

- أ - وقف إطلاق النيران حول مطار دونيتسك والإجزاء الشرقية من أوكرانيا.
- ب - إطلاق سراح جميع الرهائن من دون استثناء.
- ج - استعادة السيادة على الحدود الدولية بين أوكرانيا وروسيا.
- د - إغلاق الحدود بين البلدين مع سحب للعتاد العسكرية الثقيلة.
- هـ - إدارة هذه الحدود ومراقبتها من

قد يشكل الاتفاق بشأن ملف طهران النووي تنويجاً ومفخرة لأوباما في مجال إرثه السياسي الخارجي

تشير الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء حيدر العبادي إلى طهران على رأس وفد رفيع المستوى، إلى مدى النفوذ الإيراني في الشأن العراقي.

لذلك، وبصرف النظر عن رمزية قرار أوباما في تسليح المقاتلين الأكراد في الشمال السوري ومع ما يثيره مثل هذا القرار من قلق لدى الأتراك، فهو يمهد لعودة الولايات المتحدة إلى الساحة السورية استراتيجياً، بعدما اندركت الإدارة الأميركية أن أي تصعيد عسكري أميركي ضد النظام في سورية، من شأنه أن يخلق فوضى كبيرة وعواقب شتى، لذلك، فإن العنصر السياسي المفقود اليوم، لا بد من الحاجة إليه في نهاية المطاف.

إنها إيران، وإيران فقط التي يمكنها أن تشكل هذا العنصر السياسي للتوصل إلى تسوية سياسية في سورية، لا تركيا، أو السعودية، ولا حتى روسيا. فالنصريات الإيرانية الرفيعة المستوى، (بحسب وكالة إيرنا، FNA)، تشير إلى أنّ طهران مستعدة تماماً للعب هذا الدور في سورية.

